دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في دائـرة المعـارف الإسـلاميـة

نقد وعرض الدكتور: خالد بن عبدالله القاسم

تمهيد: تعريف بدائرة المعارف الإسلامية:

تعد « دائرة المعارف الإسلامية » أهم مؤلف استشراقي على الإطلاق، وهذا يرجع لأسباب متعددة منها: العدد الكبير من أساطين المستشرقين المساهمين فيها، وكبر حجمها، وتنوع المعارف فيها، واستمرارية إخراجها، وتعدد لغاتها حيث خرجت بالإنجليزية والفرنسية والألمانية، وترجمت إلى العربية والأردية والتركية وغير ذلك، وتعد بحق خلاصة الفكر الاستشراقي، لذا لا يستغني عنها أي باحث في علم الاستشراق.

وقد شعر المستشرقون في مؤتمراتهم الدولية بالحاجة إلى دائـرة معـارف لأعـلام العـرب والإسـلام؛ لكـي تجمـع شتـات دراساتهم عنهم باللغات الثلاث: الألمانية والفرنسية والإنجليزية، فدعوا إليها في سنة ١٨٩٥ م، وكلفوا هوتسما[١] بإنشائها ومطبعة

---

(١) هوتسما M. Th. Houtsma (١٨٥١ - ١٩٤٣م): مستشرق هولندي تخرج باللغات العربية والفارسية والتركية في جامعة أوترخت، وعلمها فيها، وفي (١٨٧٥ م) حصل على الدكتوراه من ليدن على رسالته: « النزاع حول العقيدة في الإسلام »، ثم درس فيها سنين طويلة حتى اعتزل التدريس (١٩٠٧ م) إلى التأليف، وانتخب عضواً في المجمع العلمي العربي في =

ليدن بإصدارها، واستعين بالمجامع ومؤسسات نشر العلم في أوروبا قاطبة؛ للإنفاق عليها، فأمدتها بالمال .

بدأ تأليفها سنة (١٩٠٦ م)، ومن أوائل من بادر بها هوتسما، وحرر الدراسات المتعلقة بالخلافة العثمانية وفارس والهند والهولندية، ثم حل محله فيما بعد فنسنك[1] عام (١٩٢٤ م) .

= دمشق وفي مجامع عدة وهو من أوائل من اضطلعوا بإنشاء دائرة المعارف الإسلامية، واضطلع بالإشراف عليها (١٩١٣ ـ ١٩٢٤ م) .

من آثاره : « العقيدة الإسلامية والأشعري »، كما نشر العديد من الكتب العربية فقد ساهم في نشر الطبري، ونشر مقصورة ابن دريد والأضداد لابن الأنباري، ووضع فهارس للكتب والمخطوطات الشرقية والعربية في عدة مكتبات، كما كتب عن تاريخ السلاجقة .

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة ست مواد عن السلاجقة والقاديانية .

انظر : الأعلام للزركلي ٥/ ٢٥٢، المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣١٥، موسوعة المستشرقين لبدوي ص ٤٢٨، ٤٢٩ .

(١) فنسنك A. J. Wensinck (١٨٨٢ ـ ١٩٣٩م) : هو أرند جان فنسنك مستشرق هولندي من أشهر المستشرقين وأكثرهم إنتاجاً، تعلم اللغة العربية، وأصبح أستاذاً في جامعة ليدن من سنة (١٩٢٧ م) إلى وفاته، تخصص في الحديث النبوي، وألف معجماً للحديث النبوي من أربعة عشر كتاباً من السنن والسير، ونقله إلى العربية محمد فؤاد عبدالباقي وسماه : « مفتاح كنوز السنة »، وقد أمضى مؤلفه في تأليفه وترتيبه عشر سنين، كما أمضى مترجمه أربع سنوات في ترجمته وتصحيح أخطائه . كما وضع بمساعدة غيره « المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي » من تسعة مصادر وهي الكتب الستة وموطأ مالك ومسند أحمد ومسند الدارمي، ويتألف من سبعة مجلدات ضخمة، وقد توفي قبل إتمامه .

قام برحلات إلى مصر وسوريا ولبنان وبلاد العرب (١٩٣٠ م) . ومن آثاره الأخرى : كتاب « موقف الرسول من يهود المدينة » وهي رسالة =

وقد خرجت الطبعة الأولى في سنة (١٩٣٣ م) في خمسة عشر مجلداً، كل مجلد يقارب خمسمائة صفحة اشتملت على مواد من حرف الألف حتى أجزاء من حرف العين، وبالتحديد انتهت بمادة « عارفي باشا »[١] وطبعتها دار الفكر بالقاهرة .

ثم الطبعة الثانية في سنة (١٩٦٩ م) في ستة عشر مجلداً كل مجلد يقارب ستمائة صفحة، واشتملت من حرف الألف حتى أجزاء من حرف الخاء، وانتهت بمادة « خدا بخش »[٢] وهي

= للدكتوراه، و « عقيدة الإسلام » و « محمد النبوة »، و« العقيدة الإسلامية نشأتها وتطورها التاريخي » ومن مقالاته : « الأثر اليهودي في أصل الشعائر الإسلامية » .

وهو من أكثر المستشرقين كتابة في الدائرة، وقد تولى رئاسة تحرير الطبعة الأولى منها سنة (١٩٢٥م) بلغاتها الثلاث . حرر في الدائرة ٧٥ مادة متنوعة في كلا الطبعتين، انتقدته في ١٤ موضعاً، حيث حاول التشكيك في الوحي، وادعى استقاء النبي من اليهود والنصارى الشيء الكثير، ومن ذلك قصة إبليس، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم التبس عليه بعض ما نقله فأخطأ فيه، ومن ذلك آزر؛ ظن أنه أبو إبراهيم عليه السلام بينما هو خادمه، وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم ظن أن الصور المسيحية للملائكة حور وولدان، كما كتب في مادة السنة بتخبط، وذم أنس بن مالك رضي الله عنه في جهاده وروايته، وطعن في دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب .

انظر : الأعلام للزركلي ١/٢٨٩، المستشرقون للعقيقي ٢/٣١٩، ٣٢٠، مفتاح كنوز السنة، أرند جان فنسنك، المقدمة التعريفية للكتاب، بقلم مترجمه محمد فؤاد عبدالباقي .

(١) رجل دولة تركي توفي سنة ١٣١٣ هـ .

(٢) قانوني هندي محب للكتب وجمعها، توفي سنة ١٩٠٨م .

مشتملة على ما وجد من الدائرة الأصل، ورمزوا للمواد المضافة بالرمز (+) .

وقد بلغ عدد كتاب الدائرة في كلا الطبعتين (٤٨٦) كاتباً، حرروا (٣٩٣٠) مادة[١] .

كما طبعت طبعة مترجمة كاملة بتمويل من إمارة الشارقة في ٣٣ مجلداً، منها مجلد فهارس، احتوت على الطبعتين الأولى والثانية بهوامشها، وترجم الجزء المتبقي من حرف العين حتى النهاية، وهمش على الزيادة هوامش مفيدة لأساتذة مصريين وبلغت الزيادة عشر وبلغ مجموع الصفحات (١٠٢٤٠) صفحة في أكثر من (٥٠٠٠) مادة[٢] .

وقد احتوت الدائرة على تشويه سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين وعلماء الإسلام والمسلمين لا سيما أهل السنة والجماعة، وكافة الدعوات السلفية الإصلاحية ومن أهمها دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب .

وسأتناول في هذا البحث مزاعمهم تجاه هذه الدعوة المباركة ومناقشتهم في تلك المزاعم .

---

(١) هذا العدد مع المواد التي أعاد كتاباتها في الطبعة الثانية مستشرقون آخرون، ويبلغ عددها قرابة ألف مادة .

(٢) عند النقل من الدائرة يشار للطبعة الأولى والثالثة، وما سكت عنه فهو الطبعة الثانية وبعد الجزء والصفحة يأتي المادة واسم الكاتب .

الطعن في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب :

أولاً : نظرة عامة لما في الدائرة :

جاء ذم الشيخ محمد بن عبدالوهاب[1] وأتباعه في مواضع كثيرة في دائرة المعارف الإسلامية ووصفوا بالأوصاف الشنيعة، وافتري عليهم ما لم يقولوا به، وصدق كلام خصومهم فيهم، حيث تزعم الدائرة أنهم يُكفِّرون ما سواهم من المسلمين، وأنهم مشبهة في الصفات، ولا يعترفون بالقياس والإجماع، وأنهم متطرفون، بل هم أشد المسلمين تعصباً وتزمتاً، ويحرمون زيارة القبور ويعدونها بدعة، ويهاجمون أشد الأماكن قداسة عند أهل السنة والشيعة،

---

(١) الإمام محمد بن عبدالوهاب ١١١٥ ـ ١٢٠٦ هـ صاحب الدعوة الإصلاحية في نجد « الوهابية » ولد في بيت علم ودين في العيينة حيث كان والده قاضي العيينة، وكان الشيخ قوي الذهن فحفظ القرآن وهو صغير، ثم درس الفقه الحنبلي، ثم رحل في طلب العلم في الحجاز والعراق، وعاد إلى نجد سنة ١١٣٩ هـ، وكان حريصاً على إصلاح الأوضاع في نجد بعد أن انتشرت الخرافات وعُبدت القبور، وكان له ما أراد بعد أن وقف بجانبه محمد بن سعود أمير الدرعية وأبناؤه، حتى اتسعت الدعوة والدولة لتشمل نجد وغالب الجزيرة العربية، بل تأثر بها كثير من المصلحين في العالم الإسلامي . (انظر : عامة الكتب التي ألفت عن الشيخ، ومنها : « عنوان المجد في تاريخ نجد »، عثمان بن بشر النجدي ١/١١٣، طبع ونشر وزارة المعارف السعودية ١٣٩٤ هـ، « الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية »، أحمد بن حجر آل بوطامي، طبع ونشر الحكومة السعودية ١٣٩٥ هـ، و « محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه »، مسعود الندوي، طبع ونشر جامعة الإمام ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م . وغيرها) .

كما أن لهم دوراً كبيراً في القرصنة في البحر والسلب في البر، كما كانت تجارة الرقيق بسببهم مزدهرة، وهم ينكرون التقليد! .

وهذه طائفة من النقول من الدائرة الدالة على ذلك :

عند الحديث عن مصادر التشريع الأربعة : (ومهما يكن من شيء فإن المذاهب الأربعة قد تخلت عن هذه [الاكتفاء بالقرآن والسنة وحدهما] وأخذ الإجماع والقياس مكانهما بين أصول الفقه . وهذه الأصول الأربعة لم يعترف بها قط الخوارج والوهابية فضلاً عن الشيعة)(١) .

وجاء أيضاً : (وكانت زيارة قبور الأولياء من البدع التي حاربها محمد بن عبدالوهاب)(٢) .

كما جاء أيضاً : (لا يعتبر موحداً كل من زار قبور الأولياء)(٣) .

كما جاء عن قبائل الدواسر : (وهم يعيشون حيثما تيسر لهم على السلب، ويقال إنهم أكثر الوهابيين تعصباً وخطورة)(٤) .

وجاء أيضاً : (ولما كان جميع المسلمين اليوم ما عدا المتطرفين من أهل الحديث والمشبهة كالوهابية وأصحاب ابن تيمية يأخذون بما يقوله الغزالي في أمر العقائد الإسلامية، ويقدرونه تقديراً كبيراً فيحسن أن نرجع إلى الرسالة القدسية التي

---

(١) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٨٥، السنة، فنسنك .
(٢) الدائرة الأولى ١٠/ ٤٧٣، زيارة، فنسنك
(٣) الدائرة الثالثة ٣٢/ ١٠١٧٤، مرجليوث .
(٤) الدائرة الأولى ٩/ ٣٠٦، دواسر، فاير .

كتبها في بيت المقدس)[١].

وجاء أيضاً : (وكذلك يرى الوهابيون في أنفسهم أنهم وحدهم هم الموحدون، وأن سائر المسلمين مشركون وأنهم هم أنفسهم المكلفون بإحياء السنة، وهم يرون أن السنة القديمة وشخصية النبي وجوهر الإسلام تبعاً لذلك قد شوهت بسبب تقديس الأولياء، وهم من أجل ذلك يهاجمون أكثر أماكن الإسلام قداسة عند أهل السنة وعند الشيعة؛ لأن هذه الأماكن تعتبر في نظرهم معاقل لعبادة الأوثان)[٢].

وجاء : (وزار بورخارت هذا المكان ـ بقيع الغرقد ـ بعد غزو الوهابيين فوجد أنه أصبح أتعس المقابر حالاً في المشرق ـ يشير إلى هدم القباب والزخارف ـ)[٣].

كما جاء في وصف جماعة أهل الحديث في الهند : (ويسمي الوهابيون في الهند أنفسهم بهذا الاسم) ثم جاء في وصفهم : (عنوا خاصة بتوكيد التوحيد، وإنكار علم الغيب لأي من مخلوقات الله، وقد اقتضى هذا إنكار كرامات الأولياء، والمبالغة في تقديسهم)[٤].

كما جاء : (وكان هدف البريطانيين من تدخلهم في سياسة

---

(١) الدائرة ٤/ ٢٦٥، الله، ماكدونالد .
(٢) الدائرة الأولى ١٣/ ٢١٧، شرك، بيوركمان .
(٣) الدائرة ٧/ ٤٦٢، بقيع الغرقد، بلاَّ .
(٤) الدائرة ٥/ ١٤٣، ١٤٤، أهل الحديث، ش عنايات الله .

بحر فارس هو القضاء على تجارة الرقيق والقرصنة اللتين كانتا قد نظمتا تنظيماً أفضل مع اتساع نفوذ الوهابيين)[١].

كما جاء : (المخترعات الحديثة تستخدم بلا حرج بين الوهابيين، وهم أكثر فرق الإسلام الحديث تزمتاً)[٢]

كما جاء عن بعض سكان سومطرة الأندونوسية : (وقد عاد من الحجاز في أوائل القرن التاسع عشر ثلاثة من أهل منغكاباو بعد أن أدوا فريضة الحج، ورأوا الحكم الوهابي في مكة بعد سنة ١٨٠٦م فامتلأت نفوسهم بالحماسة لتزمت الوهابيين وتشددهم)[٣]، كما جاء وصفهم بـ « التطرف »[٤].

وجاء أيضاً : (ولقد رفض الوهابيون السماح لقوافل المحمل الذي أعدته الحكومة التركية بدخول الأراضي المقدسة، وأبطل سعود الخطبة للسلطان، وقال في رسالة رسمية : إنه ليس على والي دمشق أن يعتنق المذهب الوهابي فحسب، بل على السلطان أن يفعل ذلك . ولما رفض صاحب دمشق رفضاً باتاً أن يذعن لمشيئته أجابه سعود بسلب حوران في يوليه عام ١٨١٠ م)[٥].

---

(١) الدائرة ٦/ ٢٩٧، بحر فارس، بكنكهام .
(٢) الدائرة ٦/ ٤١٧، بدعة، روبصون .
(٣) الدائرة ٦/ ٤١١، بدري، كرن .
(٤) الدائرة ٤/ ٢٦٥، الله، ماكدونالد .
(٥) الدائرة ١/ ٣٠٩، ابن سعود، مورتمان .

وجاء في الدائرة أيضاً : (وينكر الوهابية، وأولهم إمامهم ابن عبدالوهاب التقليد)[1] .

ثانياً : عدم وجود الأدلة على ما زعموا :

لم يقم دليل واحد على غالب تلك الدعاوى، وقد أخذها أولئك المستشرقون من أعداء الدعوة الإصلاحية « الوهابية »؛ إذ أن تلك هي مفترياتهم القديمة على الدعوة .

ورسائل الشيخ وكتبه ومصنفات تلاميذه موجودة متاحة، فالواجب الرجوع إليها والتأكد من تلك المزاعم .

إن كتب أئمة الدعوة طافحة بخلاف أكثر ما ذُكر، مستدلة في جميع مسائلها بالقرآن والحديث وإجماع أهل العلم .

وقد أنكر الشيخ نفسه في حياته كثيراً من هذه المزاعم التي افتراها عليه بعض أعدائه، حيث جاء في إحدى رسائله إلى أهل القصيم : « ثم لا يخفى عليكم أنه بلغني أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتسبين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افترى علي أموراً لم أقُلها، ولم يأت أكثرها على بالي، فمنها قوله : أني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وأني أقول : إن الناس من ستمائة سنة ليسوا على شيء، وأني أدَّعي الاجتهاد، وأني خارج عن التقليد، وأني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة . وأني أكفر من توسل بالصالحين، وأني أكفر البوصيري؛ لقوله يا أكرم الخلق، وأني أقول : لو أقدر

(١) الدائرة ٩/ ٤٧٦، التقليد، شاخت .

على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها، وجعلت لها ميزاباً من خشب، وأني أحرم زيارة قبر النبي، وأني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهما، وأني أكفر ابن الفارض وابن عربي، وأني أحرق دلائل الخيرات، وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين . جوابي عن هذه المسائل : سبحانك هذا بهتان عظيم »[١].

وقال الشيخ عبدالله بن عبداللطيف[٢] عن أعداء الدعوة : « وعندما عجز كبراؤهم في ميادين الحجج والبراهين وباءوا بالفشل لجأوا إلى وضع العقبات في سبيل الدعوة وإلى الاعتداء . الأمر الذي ألجأ الشيخ وحزبه برياسة الأمير محمد بن سعود أن يقاومهم . . . فجرت الحروب الشديدة بين حزب الشيخ وبين أولئك المخالفين، فكما فشلوا في ميادين الحجج العلمية

---

(١) رسالة الشيخ إلى أهل القصيم ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب القسم الخامس الرسائل الشخصية ص ١١، ١٢، جمع عبدالعزيز بن زيد الرومي ومحمد بلتاجي وسيد حجاب، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

(٢) عبدالله بن عبداللطيف بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ١٢٦٥ ـ ١٣٣٩ هـ من أئمة الدعوة الإصلاحية بنجد، نشأ في بيت علم ودين، تلقى العلم على والده وكبار علماء الدعوة، انتقل إلى حائل بعد غلبة ابن رشيد ثم عاد إلى الرياض بعد فتح الملك عبدالعزيز لها، وكان ناشراً للعلم محارباً للبدع (انظر : « علماء نجد خلال ستة قرون » عبدالله بن عبدالرحمن البسام ١/ ٧٢ ـ ٨١، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ) .

وخرجوا صفر اليدين، فشلوا أيضاً في ميادين المقارعة والحروب، وكان النصر في الأغلب حليف الشيخ وحزبه. فلما لم يبق لديهم من سلاح يحاربون الدعوة به؛ شرع بعض المُدَّعين للعلم والحكام يزيدون في اختلاقهم للأكاذيب والافتراءات وينسبونها إلى الشيخ، وأخذوا في استعمال الدعايات الكاذبة والإشاعات الباطلة، وطفق بعضهم يكتب إلى الأتراك، وإلى الأشراف في الحجاز: إن هذا مبتدع، ومذهبه خامس المذاهب، ولا يحب الرسول صلى الله عليه وسلم وكفَّر جميع الناس إلا من كان من أتباعه ... »[1].

إن أعداء الدعوة من أهل نجد والحجاز المصريين والأتراك غير مؤهلين للسماع منهم؛ لكون غالب عداوتهم للدعوة من باب الجهل والحسد، وكفهم عما يخالف الشريعة مما ألفوه من البدع، وانقطاع ما يصل إلى بعضهم من أموال حقاً كانت أم باطلاً.

وقد فطن لذلك التشويه والافتراءات على دعوة الشيخ رحمه الله بعض المؤرخين المسلمين والغربيين المحايدين، فنبهوا على كذب تلك المزاعم، ومن ذلك:

ما ذكره الجبرتي[2] المؤرخ المصري الشهير في حوادث

---

(١) الإمام محمد بن عبدالوهاب في التاريخ، عبدالله بن سعد الرويشد ١/١٦٦، مكتبة عيسى البابي الحلبي، ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م.

(٢) عبدالرحمن بن حسن الجبرتي ١١٦٧ م ـ ١٢٣٧ هـ مؤرخ مصر في وقته، =

الحج سنة ١٢٢٣ هـ، حيث قال عن أهم الأحداث : « ومنها انقطاع الحج الشامي والمصري معتلين بمنع الوهابي الناس عن الحج، والحال ليس كذلك؛ فإنه لم يمنع أحداً يأتي الحج على الطريقة المشروعة؛ وإنما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع، مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة، وقد وصل طائفة من الحجاج المغاربة حجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله، ولم يتعرض لهم أحد بشيء، ولما امتنعت قوافل الحج المصري والشامي، وانقطع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل إليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يتعيشون منها، خرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسائهم، ولم يمكث إلا الذي ليس له إيراد من ذلك، وأتوا إلى مصر والشام، ومنهم من ذهب إلى إسلامبول يتشكون من الوهابي، ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين؛ لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من إجراء الأرزاق، واتصال الصلات »[1].

ومن المعلوم أن الجبرتي شاهد منصف، وليس له أي ميول

= تعلم في الأزهر وولي إفتاء الحنفية في عهد محمد علي، له كتابه الشهير « عجائب الآثار في التراجم والآثار » أرخ فيه الحوادث من سنة ١١٠٠ هـ وحتى ١٢٣٦ هـ، ومع أنه قد ركز فيه على تاريخ مصر إلا أن فيه شذرات متفرقة عن الجزيرة العربية ودعوة الشيخ نظراً لمعاصرته لها .

انظر : خير الدين الزركلي، الأعلام ٣/ ٣٠٤، دار العلم للملايين ـ بيروت ـ الطبعة السادسة ١٩٨٤ م .

(١) تاريخ الجبرتي المسمى « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » عبدالرحمن ابن حسن الجبرتي، مطبعة الشعب بمصر ١٩٥٩ م .

في هذه القضية، وقد شهد الجميع بنزاهته وتثبته، ومن ذلك ما جاء في الدائرة نفسها بقلم اثنين من كتابها حيث قال ماكدونالد[1]

---

(١) ماكدونالد، دنكان بلاك D. B. Macdonld (١٨٦٣ ـ ١٩٤٣ م) : مستشرق أمريكي، بريطاني المولد والنشأة، تعلم في جلاسكو ثم رحل إلى برلين وأخذ على زاخاو، ثم قصد هارفارد لتعليم اللغات السامية (١٨٩٣ م) وأسس فيها مدرسة كنيدي للبعثات، كما أشرف على القسم الإسلامي سنوات طويلة، وأنشأ بمعاونة صمويل زويمر مجلة العالم الإسلامي (١٩١١ م)، وكان صديقاً وزميلاً لنيكلسون . من أعضاء المجمع العلمي العربي، ومن أوسع المستشرقين اطلاعاً على الدين الإسلامي، تعلم العربية والعبرية والسريانية .

إنتاجه العلمي لم يكن عميقاً، من آثاره كتاب « علم الكلام في الإسلام »، و « عرض المسيحية للمسلمين »، كما كتب عن التصوف، والأدب، واللهجات العربية، وعني بكتاب ألف ليلة وليلة .

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة ٤٦ مادة في العقيدة والفقه، وكان في غاية ما يكون من التحامل، حيث كتب عن لفظ الجلالة بتخبط عجيب حيث اتهم صفات الله بالنقص والتضليل، وأن القرآن فيه تجسيم، وأن الصفات من اختراع النبي صلى الله عليه وسلم وأنه استقى بعضها من اليهود كما استقى من النصرانية، وطعن في الرسالة وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يأت بمعجزات سوى القرآن، وأنكر الأحاديث النبوية وشكك في جملتها، كما كتب عن السحر بتخبط، وتحامل على مذهب أهل السنة في الصفات وحاول تشويه مذهبهم والتنفير منه، ووصف أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالتطرف، وغير ذلك كثير .

انظر : الأعلام للزركلي ٢/ ٣٣٠، المستشرقون، نجيب العقيقي ٣/ ١٣٦، ١٣٧، دار المعارف ـ بيروت ـ الطبعة الرابعة، موسوعة المستشرقين، عبدالرحمن بدوي ص ٣٧٢، دار العلم للملايين ـ الطبعة الثانية .

في الطبعة الأولى : (ولا شك في نزاهة أحكام الجبرتي، فهو من بيت علم يعرف قدر الرواية المحكمة إذا رواها شاهد عيان)[١].

وقال عن تاريخه : (وهو أعظم تواريخ مصر في القرن الثاني عشر والثالث عشر للهجرة)[٢].

كما وصفه إيالون في الطبعة الثانية بقوله حين الحديث عن أسرته : (وظهر في هذه الأسرة مؤرخ عظيم، كان بلا شك ظاهرة فريدة في فن تدوين التاريخ الإسلامي)[٣].

وقال العلامة العراقي الآلوسي[٤] عن دعوة الشيخ في كتابه « تاريخ نجد » : « ونقص عليك شيئاً من سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ونذكر طرفاً من أخباره وأحواله؛ ليعلم الناظر فيه بحقيقة أمره، فلا يروج عليه تشنيع من استحوذ عليه الشيطان وأغواه، وبالغ في كفره واستهواه . . . » .

ثم أخذ يسرد فضائله ويبرهن على صحة معتقده[٥].

---

(١) الدائرة ١١/ ٦٥، الجبرتي، ماكدونالد .

(٢) الدائرة ١١/ ٦٥، الجبرتي، ماكدونالد .

(٣) الدائرة ١١/ ٦٦، الجبرتي، إيالون .

(٤) العلامة محمود شكري الآلوسي ١٢٧٣ ـ ١٣٤٢ هـ عالم عراقي ومن الدعاة إلى الإصلاح ومحاربة البدع مما عرضه للمعادات والنفي، له العديد من المؤلفات . (انظر : الأعلام للزركلي ٧/ ١٧٢، ١٧٣) .

(٥) انظر : محمد بن عبدالوهاب في التاريخ، عبدالله بن سعد الرويشد ص ٤٠٨، ٤٠٩، رابطة الأدب الحديث، دطت .

وقال برائجس[(١)]: « لقد أشاع الباب العالي أنه - أي سعود بن عبدالعزيز - نهى الناس عن زيارة المدينة، إلا أن هذا ليس بصحيح، فإنه نهى فقط عن ارتكاب الأعمال الشركية عند الروضة المطهرة، كما نهى عنها عند قبور الأولياء ... بعض الجهال يرونهم - أي الوهابيين - كفاراً، وقد اعتمد الأتراك على الشائعات التي روجها الأشراف، إلا أن الحقيقة أنهم متبعون تماماً للقرآن والسنة، وكانت حركتهم تطهيرية خالصة في الإسلام »، وقال أيضاً رداً على أحد الفرنسيين وقد ألف كتاباً سنة ١٨٠٨ هـ ادعى بأنه سمع من مقرب من سعود أن سعود ألغى الحج، فرد عليه برائجس: « يجب على الفرنسي الأحمق الذي ذكر نسخ الحج أن يعرف أن سعود نهى عن التقاليد القبيحة في الحج، وأن أول عمل عمله بعد دخول مكة هو الطواف والعمرة »[(٢)].

فكما أن هذا هو حال أعداء الدعوة في شبهاتهم فإن حالهم كذلك في قتالهم، ولا أدل على ذلك مما ذكره الجبرتي بعد هزائم المصريين والأتراك أول الأمر في الجزيرة العربية، حيث قال نقلاً عن بعض من حضر الحرب: « ولقد قال لي بعض أكابرهم - في جيش محمد علي - من الذين يدَّعون الصلاح: أين لنا بالنصر ؟! وأكثر عساكرنا على غير الملة، وفيهم من لا يتدين بدين، ولا

---

(١) أحد الغربيين الذين زاروا الشرق، وكان في البصرة سنة ١٧٨٤م، وله كتابه: تاريخ موجز للوهابيين.

(٢) محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه لمسعود الندوي ص ١٨٥، نقلاً من كتابه ص ١٠٦، ١١٤ . طبع ونشر جامعة الإمام بالرياض ١٤٠٤ هـ .

ينتحل مذهبنا، وبصحبتنا صناديق المسكرات، ولا يسمع في عرضنا أذان، ولا تُقام به فريضة، ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين، والقوم إذا دخل الوقت أذن المؤذنون، وينتظمون صفوفاً خلف إمام واحد بخشوع وخضوع، وإذا حان وقت الصلاة والحرب قائمة أذن المؤذنون وصلوا صلاة الخوف، فتتقدم للحرب طائفة، وتتأخر الأخرى للصلاة، وعساكرنا يتعجبون من ذلك؛ لأنهم لم يسمعوا به فضلاً عن رؤيته .

وكان كثيراً من قتلاهم ـ الجيش المصري ـ لما ظهرت عورته لغسيله بعد القتل وُجدوا غُلفاً غير مختونين، وقد سبى الجيش المصري نساء في بدر، حتى إن بعض أهل بدر الصلحاء قال لبعض العسكر : أعطني زوجتي . قال : حتى تبيت معي الليلة، وأعطيها لك من الغد »[1].

وقد شهد بصحة معتقد الشيخ محمد وأتباعه ـ رحمهم الله ـ علماء مكة والمدينة من سائر المذاهب وكذا الشريف غالب أمير مكة حينذاك بعد الجلوس مع علماء الدعوة[2].

كما مدح دعوته وأطنب في مدحه كثير من العلماء والمفكرين

---

(١) تاريخ الجبرتي ٧/ ٨٢٣ .

(٢) رسائل لعلماء مكة والمدينة كتبوها وختموها بأختامهم، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/ ٣١٨، ٣١٩، جمع عبدالرحمن بن قاسم العاصمي، الطبعة الثالثة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٨٧ م .

المنصفين من خارج نجد منهم الأمير الصنعاني[1]، ومؤرخ مصر الجبرتي، والشيخ القاسمي[2] الذي حُوكم بتهمة العمل على نشر الوهابية، والعلامة الآلوسي، وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا[3]، والأمير شكيب أرسلان[4]، ومحمد كُرد علي[5]، والشيخ ظاهر

---

(١) محمد بن إسماعيل الصنعاني ١٠٩٩ ـ ١١٨٢ هـ فقيه مجتهد من بيت الإمامة باليمن، وله المؤلفات العديدة الدالة على سعة علمه أشهرها سبل السلام في شرح بلوغ المرام لابن حجر . (انظر : الأعلام للزركلي ٦/ ٣٨) .

(٢) جمال الدين القاسمي الحسيني ١٢٨٣ ـ ١٣٣٢ هـ إمام الشام في عصره، تعرض للتهم بسبب سلفيته، له العديد من المؤلفات منها : « موعظة المؤمنين » والتفسير . (انظر : الأعلام للزركلي ٢/ ١٣٥) .

(٣) محمد رشيد رضا المصلح المشهور ١٢٨٢ ـ ١٣٥٤ هـ بغدادي الأصل له مؤلفات عدة أشهرها تفسيره للقرآن، كما أقام بمصر وأصدر بها مجلة المنار وتحوي الآن على ٢٤ مجلداً (انظر : الأعلام قاموس وتراجم، خير الدين الزركلي ٦/ ١٢٦، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤ م) .

(٤) شكيب بن محمود أرسلان ١٢٨٦ ـ ١٣٦٦ هـ من سلالة ملوك الحيرة، مؤرخ وعالم بالأدب والسياسة من أكابر الكتاب يُنعت بأمير البيان، وهو من أعضاء المجمع العلمي العربي، نشأ بالشام وأقام بمصر وأوربا وتوفي بلبنان، له العديد من المؤلفات الدالة على غيرته الإسلامية أشهرها : تعليقاته على « حاضر العالم الإسلامي »، و « ولماذا تأخر المسلمون »، كما أنشأ صحيفة في جنيف باللغة الفرنسية للدفاع عن القضايا الإسلامية . (انظر : الأعلام للزركلي ٣/ ١٧٣) .

(٥) محمد بن عبدالرزاق بن محمد كرد علي ١٢٩٣ ـ ١٣٧٢ هـ، كردي الأصل، دمشقي المولد والوفاة، مؤسس المجمع العلمي العربي بدمشق =

الجزائري[١]، والزركلي[٢]، وغيرهم كثير[٣].

وهذا المطلب في حد ذاته كاف كرد إجمالي على تلك المطاعن جميعاً .

ثالثاً : علماء الدعوة وتكفير المسلمين :

جاءت هذه الفرية على لسان بيوركمان[٤] بقوله : « يرى الوهابيون في أنفسهم أنهم وحدهم هم الموحدون، وأن سائر المسلمين مشركون »[٥].

= وتولى رئاسته، عارض حزب الترقي التركي العلماني مما تسبب في اضطهاده . (انظر : الأعلام للزركلي ٦/ ٢٠٢) .

(١) طاهر بن صالح الجزائري الأصل الدمشقي المولد والوفاة ١٢٦٨ـ ١٣٣٨ هـ، بحاثة من أكابر علماء عصره في اللغة والأدب له العديد من المؤلفات . (انظر : الأعلام للزركلي ٣/ ٢٢٢) .

(٢) خير الدين الزركلي المؤرخ السوري المشهور وصاحب كتاب الأعلام، وقد مدح الشيخ في ترجمته له ٦/ ٢٥٧ .

(٣) انظر جميع ذلك ما خلا الجبرتي في : « محمد بن عبدالوهاب في التاريخ » عبدالله بن سعد الرويشد ٤٠٨ ، ٤٠٩ .

(٤) بيوركمان W. BJorknman : مستشرق ألماني من آثاره الأدب العربي الحديث في مجلة الآداب الشرقية (١٩٢٦ م)، وتاريخ الإسلام في نشرة معهد اليوم (١٩٧١ م)، كما كتب عن التعليم في البلاد الإسلامية، وعن الدولة العثمانية . حرر في الطبعة الثانية من الدائرة تسع مواد متنوعة . زعم تأثر الإسلام بالنصرانية، وكتب عن الشرك كتابة مشوشة مليئة بالأخطاء .

(٥) الدائرة، الأولى ١٣/ ٢١٧، شرك، بيوركمان .

وهذه الفرية نشرها ابن عابدين[١] في حاشيته[٢]، وابن دحلان حيث يقول عن محمد بن عبدالوهاب : « وسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها وقاتلها على ذلك جملة إلا من وافقه على قوله »[٣].

إن محمد بن عبدالوهاب وأتباعه لا يكفرون عموم المسلمين؛ وإنما يكفرون من قامت عليه الحجة بالعلم ثم أشرك مع الله غيره بعبادة القبور، أو بموالاة عبادها على أهل التوحيد، أو عمل ناقضاً من نواقض الإسلام المجمع عليها .

قال محمد بن عبدالوهاب : « فإن قال قائلهم : إنهم يكفرون بالعموم، فنقول : سبحانك هذا بهتان عظيم، الذي نكفر الذي يشهد أن التوحيد دين الله ودين رسوله، وأن دعوة غير الله باطلة، ثم بعد هذا يُكفر أهل التوحيد، ويسميهم الخوارج، ويتبين مع أهل القبب على أهل التوحيد »[٤].

---

(١) محمد أمين بن عمر بن عبدالعزيز المشهور بابن عابدين ١١٩٨ ـ ١٢٥٢ هـ فقيه الديار الشامية، وإمام الحنفية في عصره دمشقي المولد والوفاة . له العديد من المؤلفات الفقهية والفتاوى المطبوعة (الأعلام للزركلي ٦/ ٤٢)، وهو على فضله وعلمه فإنه لم يتوثق في نسبة التكفير للشيخ محمد وأتباعه، ولعله يُعذر لكثرة شيوع تلك الفرية في وقته .

(٢) رد المحتار ٣/ ٣٠٩، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دطت .

(٣) جاء ذلك في كتابه : فتنة الوهابية ص٦٦، انظر إلى بحث : الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب لعبد الرحمن عميرة، ضمن بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب ٢/ ٦٦ نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م .

(٤) رسالة محمد بن عبدالوهاب إلى عالم من أهل المدينة ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/ ٤٦، وهي موجودة ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب القسم الخامس الرسائل الشخصية ٤٨ .

وقال أيضاً : « وأما التكفير، فأنا أكفر من عرف دين الرسول ثم بعدما عرفه سبه ونهى الناس عنه، وعادى من فعله، فهذا هو الذي أُكفر، وأكثر الأمة ولله الحمد ليسوا كذلك »[١].

وقال عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب[٢] مدافعاً عن مذهبه ورداً على ما قاله له : « إنك ضلَّلت وكفَّرت من خالف مذهبك في الصفات » فقال : « إن الأمة اختلفوا في هذه المسائل اختلافاً كثيراً، ولم يُكفِّر بعضهم بعضاً؛ وإنما يكفِّرون من خالف نص كتاب أو سنة، وقامت عليه الحجة، واعتقد أن الحق خلاف ذلك . وأما نحن فلم نكفِّر أحداً بهذه الأمور، وإنما كفَّرنا من أشرك بالله وعبد معه غيره، وقامت عليه الحجة، واستهزأ بالدين الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أو شيء منه، أو كرهه وأبغضه، والأدلة على ذلك كثيرة من الكتاب والسنة، كقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ﴾[٣]

---

(١) رسالة محمد بن عبدالوهاب إلى من يصل إليه من المسلمين ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية ١/ ٥١ .

(٢) عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب ١١٦٥ ـ ١٢٤٤ هـ من أئمة الدعوة ولد بالدرعية، ونشأ في بيت علم وصلاح، فحفظ القرآن وتعلم العلم حتى كان له السبق في الأصول والتفسير والحديث ومقالات الفرق، فخلف والده في أغلب أعماله العلمية والدعوية، وبعد خراب الدرعية سنة ١٢٣٣ هـ نُقل إلى مصر أسيراً، وظل بها إلى أن مات سنة ١٢٤٤ هـ . (انظر : علماء نجد خلال ستة قرون للبسام ١/ ٤٨ ـ ٥٥) .

(٣) سورة المائدة، الآية ٧٢ .

وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾[1]، وقال تعالى : ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾[2]، وقال تعالى : ﴿ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾[3] وقال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٩ ﴾[4]»[5]. وقال عبداللطيف بن عبدالرحمن[6]:

« وأما القول بأننا نكفِّر الناس عموماً، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نُكفِّر من لم يكفر ولم يقاتل، ومثل هذا، وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان الذي يصدون به الناس عن دين الله ورسوله، وإذا كنا لا نكفِّر من عبد القبور من العوام لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم؛ فكيف نُكفِّر

---

(١) سورة الزمر، الآية ٦٥ .

(٢) سورة الحج، الآية ٣١ .

(٣) سورة التوبة الآيتان ٦٥، ٦٦ .

(٤) سورة محمد، الآية ٩ .

(٥) نقض كلام الشيعة والزيدية، عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٤/ ٩٧، جمع سليمان بن سحمان، مطبعة المنار المصرية، طبع قبل ١٣٥١ هـ .

(٦) عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن ١٢٢٥ ـ ١٢٩٣ هـ من أئمة الدعوة نقل مع والده بعد خراب الدرعية إلى مصر وهو صغير فأخذ العلم هناك على جده لأمه عبدالله ابن الشيخ محمد وعن والده وعلى علماء الأزهر، ثم عاد إلى نجد سنة ١٢٦٤ هـ في عهد الإمام فيصل فأصبح المرجع في العلم والقضاء بعد وفاة والده، توفي بالرياض سنة ١٢٩٣ هـ . (انظر : علماء نجد خلال ستة قرون للبسام ١/ ٣٦ ـ ٧١) .

من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا! أو لم يكفر ويقاتل! سبحانك هذا بهتان عظيم »[١].

وقال أيضاً : « وقد جاء في الحديث :« **من قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما** » فإطلاق القول بالتكفير والحالة هذه ـ انتشار الجهل ـ دليل على جهل المكفر وعدم علمه بمدارك الأحكام »[٢].

فهؤلاء أئمة الدعوة ينكرون هذه التهمة مبينين إدراكهم لعظم تكفير المسلم، وأنه من صفات الجهلة المتعجلين . وربما صدر تكفير بعض من يستحق ذلك، وقد مضى بيان حال بعض المخالفين في كلام الجبرتي السابق .

رابعاً : وصف أتباع محمد بن عبدالوهاب بالمشبهة :

جاء في الدائرة اتهام أتباع الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالتشبيه في صفات الله تعالى[٣].

ومصنفات علماء الدعوة تنفي هذه التهمة بدءاً من الشيخ نفسه حيث قال في شرح اعتقاده : « أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به

---

(١) « الإمام محمد بن عبدالوهاب » للرويشد ١/ ٧١ .

(٢) رسالة لعبداللطيف بن عبدالرحمن آل الشيخ، ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ٣/ ٢١، جمع سليمان بن سحمان، مطبعة المنار المصرية، طبع قبل ١٣٥١ هـ .

(٣) الدائرة ٤/ ٢٦٥، الله، ماكدونالد . تقدمت ترجمته .

نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه؛ لأنه تعالى لا سمي له، ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه »[١].

خامساً : اتهامهم بإنكار الإجماع والقياس :

جاء في الدائرة قول فنسنك[٢] عن مصادر التشريع : « وهذه الأصول الأربعة لم يعترف بها قط الخوارج والوهابية فضلاً عن الشيعة »[٣] أي : أنهم يقتصرون على الكتاب والسنة، وينكرون الإجماع والقياس .

وهذا أيضاً من الاتهامات الباطلة، وليس هناك ما يدل عليها، وكتب علماء الدعوة طافحة بالاستدلال بالكتاب والسنة والإجماع والقياس .

وقد ذكر علماء الدعوة أنهم على مذهب الحنابلة في أصول الفقه، حيث يأخذون بالنصوص في الكتاب والسنة ثم بأقوال الصحابة إذا اجتمعوا، وإذا اختلفوا اجتهدوا في التخير بين أقوالهم، ولم يخرجوا عنها، ثم بالحديث المرسل والضعيف المنجبر إذا لم يُعارض، ثم بالقياس[٤].

---

(١) انظر : رسالة الشيخ إلى أهل القصيم ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب القسم الخامس الرسائل الشخصية ٨ .

(٢) سبقت ترجمته .

(٣) الدائرة الأولى ١٢/ ٢٨٥، السنة، فنسنك .

(٤) رسالة للشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في الدرر السنية ٣/ ١٠ .

سادساً : اتهامهم بالتطرف والتشدد والتزمت :

جاء في الدائرة بقلم ماكدونالد[١]: « ولما كان جميع المسلمين اليوم ما عدا المتطرفين من أهل الحديث والمشبهة كالوهابية وأصحاب ابن تيمية . . . »[٢].

وقال روبصون[٣]: « المخترعات الحديثة تستخدم بلا حرج بين الوهابيين، وهم أكثر فرق الإسلام الحديث تزمتاً »[٤].

وقال كرن[٥] عن بعض سكان سومطرة الأندونيسية : « وقد

---

(١) سبقت ترجمته .

(٢) الدائرة ٤/ ٢٦٥، الله، ماكدونالد .

(٣) روبصون : ربصون، جمس J. Robson (المولود ١٨٩٠ م) : مستشرق إنجليزي تخرج في قسم اللغات الشرقية من جامعة جلاسجو فحصل على الماجستير والدكتواره في الأدب، كما حصل عليهما مرة أخرى : الدكتوراه من جامعة القديس اندرو، والماجستير من مانشستر مع مرتبة الشرف من كليهما، عين مساعد أستاذ اللغة العبرية في جلاسجو (١٩١٥ م، ١٩١٦ م)، ثم تنقل فزار العراق والهند واليمن، وعين مشرفاً على أموال الكنيسة في شاندون، ثم عين أستاذاً للعربية في مانشستر (١٩٤٩ م) .

من آثاره : « عيون شبه الجزيرة »، و « المسيح في الإسلام »، و « الأحمدية »، و « الإعجاز في القرآن »، و « محمد في الإسلام »، وغير ذلك كثير .

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة سبع مواد متنوعة، وقد كتب عن أبي هريرة منتقصاً من أحاديثه .

(٤) الدائرة ٦/ ٤١٧، بدعة، روبصون .

(٥) كرن : كرن R. AKern (١٨٧٤ م ـ ١٩٢١ م) : مستشرق ألماني تعلم في =

عاد من الحجاز في أوائل القرن التاسع عشر ثلاثة من أهل منغكاباو بعد أن أدوا فريضة الحج، ورأوا الحكم الوهابي في مكة بعد سنة ١٨٠٦ م فامتلأت نفوسهم بالحماسة لتزمت الوهابيين وتشددهم »[١].

قال مورتمان[٢]: « ولقد رفض الوهابيون السماح لقوافل المحمل الذي أعدته الحكومة التركية بدخول الأراضي المقدسة، وأبطل سعود الخطبة للسلطان، وقال في رسالة رسمية: إنه ليس على والي دمشق أن يعتنق المذهب الوهابي فحسب بل على السلطان أن يفعل ذلك، ولما رفض صاحب دمشق رفضاً باتاً أن يذعن لمشيئته

= جامعات مختلفة في أوروبا ودرس علوماً متنوعة ثم سافر إلى القاهرة حيث أتقن اللغة العربية، حصل على الدكتوراه عن أعمال قصصية مسرحية: « النساء العالمات »، ولكن أهم أعماله نشره للقطع الباقية من كتاب اختلاف الفقهاء للطبري.

توفي وهو في السابعة والأربعين بمرض عصبي.

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة عشر مواد عن جزر الملايو، وطعن في شيوخ الإسلام بالملايو، وفي المجاهدين، ووصف أتباع دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب بالتشدد والتزمت.

(١) الدائرة ٦/ ٤١١، بدري، كرن.

(٢) مورتمان: مورتمان، جوهان هنريخ J. H. Mordtmann (١٨٥٢ م - ١٩٣٢ م): ولد في الآستانة، وطلب علوم الاستشراق في ألمانيا، ثم تعين في مناصب سياسية، ارتحل إلى جنوب الجزيرة العربية وكتب فيها، كما كتب عن السنة والشيعة.

حرر في الطبعة الأولى من الدائرة ٤٢ مادة غالبها عن جغرافية العراق وتركيا، وقد شكك في بعض الأحاديث النبوية الثابتة، وطعن في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. انظر: المستشرقون للعقيقي ٢/ ٣٩٨.

أجابه سعود بسلب حوران في يوليه عام ١٨١٠ م »[١].

قلت : إذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة دين الله هو المقصود بالتشدد والتزمت والتطرف فنعم؛ فقد كانت دعوة الشيخ كذلك، بل ذلك هو غاية دعوة الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

أما سوى ذلك فلم تكن دعوة الشيخ رحمه الله بهذه الصفة، « بل إن الشيخ نفسه رغم شدة خصومة مناوئيه وضراوتها، وشناعة عنادهم، واستمراره، إلا أن الشيخ رحمه الله قد كان حريصاً على هداية أولئك الخصوم، فيبذل الأسباب والوسائل لتحقيق ما يؤدي إلى استقامتهم والتزامهم بمتابعة الحق المؤيد بالدليل، ويظهر اللين والتلطف معهم »[٢].

ومن أمثلة ذلك : رسالته للشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف أحد علماء الإحساء، حيث يخاطبه فيقول : « سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد : فقد وصل إلينا من ناحيتكم رسالة فيها إنكار وتغليظ علي، ولما قيل إنك كنت معهم وقع في الخاطر بعض الشيء؛ لأن الله نشر لك الذكر الجميل، وأنزل في قلوب عباده لك من المحبة ما لم يؤته كثيراً من الناس »[٣].

---

(١) الدائرة ١/٣٠٩، ابن سعود، مورتمان .

(٢) دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ، عرض ونقد عبدالعزيز بن محمد العبداللطيف ص ٣٦، دار طيبة، الرياض ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م .

(٣) الدرر السنية ١/٣١ .

مع أن الشيخ المخاطب سبق له أن ألف رسالة في الرد على الشيخ سماها « سيف الجهاد لمدعي الاجتهاد »[١].

كما يخاطب الشيخ عبدالوهاب بن عبدالله بن عيسى فيقول : « إني أدعو لك في سجودي، وأنت وأبوك أجل الناس إلي وأحبهم عندي »[٢].

ومع ذلك فقد عانى الشيخ محمد بن عبدالوهاب من الشيخ المخاطب وأبيه معاناة شديدة، وأصابه منهما نَكَدٌ وَهَمٌّ، كما صرح به الشيخ في رسائله[٣].

وهذا محمد بن فيروز الحنبلي المدافع عن الاستغاثة بالأموات، ومن ألد أعداء دعوة الشيخ، وقد كتب إلى الأتراك يستنجدهم لقتال البغاة الخارجين بنجد، وهو يقصد الشيخ وأتباعه، وحسبنا في بيان شدة كراهته وتعديه قوله : « لعل الشيخ ـ يعني عبدالوهاب ـ غفل عند مواقعة أمه ـ يعني أم محمد بن عبدالوهاب ـ فسبقه الشيطان إليها فكان أبا هذا المارد »[٤].

ومع ذلك يصف الشيخ ابن فيروز في إحدى رسائله : « ولكن تعرف ابن فيروز أنه أقربهم إلى الإسلام، وهو رجل من الحنابلة »[٥].

---

(١) دعاوى المناوئين ص ٣٦ .
(٢) مجموعة مؤلفات الشيخ، الرسائل الشخصية ص ٢٨١ .
(٣) مجموعة مؤلفات الشيخ، الرسائل الشخصية ص ٣١٤ .
(٤) محمد بن عبدالوهاب للندوي ص ١٧١ ، وانظر : دعاوى المناوئين ص ٣٧ .
(٥) مجموعة مؤلفات الشيخ، الرسائل الشخصية ص ٢٠٦ .

كما كان أمراء آل سعود القائمون بنصرة الدعوة في نجد متسامحين، فهذا سعود أعظم أمراء الدولة ولى على المدينة النبوية قاضياً حنفياً من اسطنبول، كما أن قاضيه على القطيف كان من أهل فارس[١].

كما كان علماء الدعوة متسامحين رحماء، مع حرصهم على تطبيق أحكام الله تعالى، ويشهد كل من جالسهم باعتدالهم وسعة علمهم، ومن ذلك ما يذكره المؤرخ المصري الجبرتي : « أنه لما أرسل عبدالله بن سعود اثنين من علماء نجد لمصر للتفاوض مع محمد علي، وجلسوا مع علماء الأزهر استأنسوا بهما، وأعجبوا بخلقهما وعلمهما بعد أن ناقشوهما واستمعوا إليهما، وسألوا عن أهل مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وعن الكتب المصنفة في مذهبه، فقيل انقرضوا من أرض مصر بالكلية، واشتريا نسخاً من كتب التفسير والحديث مثل الخازن والكشاف والبغوي والكتب الستة »[٢].

وقال : « وقد اجتمعت بهما مرتين فوجدت منهما أنساً، وطلاقة لسان، واطلاعاً وتضلعاً، ومعرفة بالأخبار والنوادر،

---

(١) تاريخ نجد المسمى (عنوان المجد في تاريخ نجد)، عثمان بن بشر النجدي ١/٢٣٨، ٢٣٩، تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، طبعة وزارة المعارف بالسعودية، الطبعة الثالثة ١٣٩٤ هـ .

(٢) المختار من تاريخ الجبرتي المسمى (عجائب الآثار في التراجم والأخبار) عبدالرحمن بن حسن الجبرتي اختيار محمد قنديل البقلي ٨/٩٢٥ في أحداث شوال ١٢٣٠ هـ بالمعنى، طبعة دار الشعب ١٩٥٩ م .

ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق، وحسن الأدب، واستحضار الفروع الفقهية، واختلاف المذاهب ما يفوق الوصف »[١].

كما شهد الرحالة الأسباني « دومنغوبادلي أي لبيخ »[٢] المعروف باسم الحاج علي بك العباسي ـ والذي عاصر الدولة السعودية الأولى وزار الحجاز إبان حكمهم، وشهد موكب الإمام سعود في مكة سنة ١٨٠٦ م ـ باعتدال الوهابيين حيث قال : « إن الحقيقة تفرض علي أن أعترف أنني وجدت جميع الوهابيين الذين تحدثت إليهم على جانب من التعقل والاعتدال، وقد استقيت منهم كل المعلومات التي أوردوها عن مذهبهم . ولكن على الرغم من اعتدالهم لا يستطيع السكان والحجاج سماع مجرد اسمهم دون أن تمتلك الرجفة قلوبهم، ولا يتلفظون به إلا

---

(١) المختار من تاريخ الجبرتي ٨/ ٩٢٥ في أحداث شوال ١٢٣٠ هـ .

(٢) ولد في برشلونة سنة ١٧٦٦م تقريباً ودرس اللغة العربية، وزار البلاد العربية، وتسمى باسم علي بك وادعى أنه من نسل العباسيين، سافر إلى مكة، وقد صرح بأن أداءه للحج له فوائد جغرافية بحتة، كان في مكة إبان حكم الدولة السعودية الأولى، أعطى وصفاً منظماً عن مكة وتجارتها، وعمل دراسة مفصلة عن موانىء البحر الأحمر، ويرجح أنه كان عميلاً لجهة ما كما يظهر من دراسته، وإنفاقه المبذخ للمال، قيل إنه كان عميلاً لأسبانيا، ورجح البعض أنه كان عميلاً لنابليون الذي يسعى آنذاك لغزو الشرق، ولأنه عندما مات سنة ١٨١٨ م بالزحار ـ والعلم عند الله ـ اتهمت فرنسا المخابرات البريطانية بتسميمه . (انظر : الرحالة الغربيون في الجزيرة العربية، د . روبن بدول ص ٢٩ ـ ٣٤، ترجمة د . عبدالله آدم نصيف، ددط، الرياض ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م) .

همساً . لذا فإن الناس يهربون منهم، ويتجنبون التحدث إليهم قدر الإمكان »[١] .

وما يتعلق بالدعاء للسلطان فإن الدولة العثمانية في حالة حرب مع الدعوة فمن الطبيعي أن يلغي سعود الدعاء له في الخطبة .

وأما من حيث الحج فقد تقدم ما يدل على أن الأمراء السعوديين لم يمنعوا أحداً من الحج[٢]، وإنما نهوا عن البدع وما خالف الشريعة، وكل ذلك إنما كان بعد الإنذار لعام كامل .

سابعاً : فيما يتعلق بالقبور :

جاء في الدائرة حكاية لمذهب الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه : « وهم يرون أن السنة القديمة وشخصية النبي وجوهر الإسلام تبعاً لذلك قد شوهت بسبب تقديس الأولياء، وهم من أجل ذلك يهاجمون أكثر أماكن الإسلام قداسة عند أهل السنة وعند الشيعة ؛ لأن هذه الأماكن تعتبر في نظرهم معاقل لعبادة الأوثان »[٣] .

وقال بلاَّ[٤]: « وزار بوركهارت هذا المكان ـ بقيع الغرقد ـ

---

(١) اكتشاف جزيرة العرب، جاكلين بيرين ص ١٤، ٢٠٢، ٢٠٣، ترجمة قدري قلعجي، تقديم حمد الجاسر، منشورات الفاخرية بالرياض، ودار الكاتب العربي ببيروت، دطت .

(٢) انظر : قول الجبرتي وبرائجس ص ٩٠٨، ٩١٠ .

(٣) الدائرة الأولى ٢١٧/١٣، شرك، بيوركمان، تقدمت ترجمته.

(٤) بلاّ شارل Ch. Pellat : مستشرق فرنسي معاصر، ولد في الجزائر سنة ١٩١٤ م، وتعلم العربية وأخذ الليسانس في اللغة العربية، وأخذ شهادته الجامعية في لغة البربر في الجزائر ١٩٣٨ م، عمل مديراً لقسم الدراسات =

بعد غزو الوهابيين فوجد أنه أصبح أتعس المقابر حالاً في المشرق ـ يشير إلى هدم القباب والزخارف ـ »[١].

وجاء أيضاً: « وكانت زيارة قبور الأولياء من البدع التي حاربها محمد بن عبدالوهاب »[٢].

وجاء أيضاً: « لا يعتبر موحداً من زار قبور الأولياء »[٣].

كما جاء في الدائرة في وصف جماعة أهل الحديث في الهند[٤]: « ويسمي الوهابيون في الهند أنفسهم بهذا الاسم » ثم جاء في وصفهم: « عنوا خاصة بتوكيد التوحيد، وإنكار علم الغيب لأيٍّ من مخلوقات الله، وقد اقتضى هذا إنكار كرامات

= في جامعة باريس (١٩٥٠ م)، تقلد عدة مناصب علمية في مراكش ثم السربون (١٩٥٦ م)، ومديراً لدائرة المعارف الإسلامية في طبعتها الفرنسية (١٩٥٦ م)، ثم مديراً لقسم الدراسات الإسلامية في جامعة باريس (١٩٧٢ م).

له آثار عديدة تقارب الأربعمائة في دوائر المعارف المختلفة، كما كتب عن الأدب العربي، وقد اهتم بالجاحظ وكتبه، واللهجة البربرية.

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ٤٦ مادة غالبها عن الأدب وتراجم الجاهليين ومدح بعض المعتزلة، كما كتب عن البربر.

(١) الدائرة ٧/ ٤٦٢، بقيع الغرقد، بلاّ.

(٢) الدائرة الأولى ١٠/ ٤٧٣، زيارة، فنسنك، تقدمت ترجمته.

(٣) الدائرة الثالثة ٣٢/ ١٠١٧٤، مرجليوث.

(٤) أهل الحديث في الهند على مذهب أهل السنة والجماعة، ومن علمائهم الذين لي به معرفة خاصة الشيخ عبدالحميد الرحماني رئيس جمعية أبو الكلام أزاد بالهند، وقد ذكر أن كاتب المقال من الهنود المعادين لأهل الحديث.

الأولياء، والمبالغة في تقديسهم »[١].

قلت : الشيخ لم يحرم زيارة القبور، وإنما حرم ما يصاحب ذلك من بدع وشرك . وفيما يتعلق بمهاجمتهم الأضرحة فصحيح، ولكن لا بد من مراعاة اعتبارين :

الأول : أنها وإن كانت أكثر الأماكن قداسة عند مرتاديها فإنها ليست أكثر الأماكن قداسة في الإسلام .

الثاني : أن القبور المرتفعة مخالفة للسنة، فضلاً عن البناء عليها، وقد ثبت عن أبي الهياج الأسدي أنه قال : قال لي علي بن أبي طالب : « ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألاَّ تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سوَّيته »[٢].

فرفع القبور مخالفة للسنة الشريفة، وأعظم من ذلك دعاء أصحابها؛ إذ إن هذا هو الشرك الذي كان المشركون يفعلونه، وكان القرآن ينزل بالنكير عليهم. قال سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[٣] وكثير من الناس يشنع على أتباع الدعوة فيما يخص القبور دون تصور للحكم الشرعي في هذا الأمر، ودون فهم للدوافع والأسباب التي جعلت من الشيخ وأتباعه يشددون بأن تكون وفق السنة، وذلك لمغالاة القوم فيها حتى عُبدت من

---

(١) الدائرة ٥/ ١٤٣، ١٤٤، أهل الحديث، ش عنايت الله .

(٢) رواه مسلم في كتاب، الجنائز، باب ٦٣ .

(٣) سورة الأعراف، الآية ١٩٤ .

دون الله تعالى .

وقد لاحظ ذلك بعض المعاصرين للدعوة من الغربيين حيث قالت « جاكلين بيرين » عن سبب عداوة بعض الناس لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب : « والسبب الأول في هذه العداوة أن الناس لم يفهموا للوهلة الأولى المعنى الإصلاحي لهدم المزارات وتقويض أضرحة الأولياء التي كان المؤمنون يؤدون لها واجب الإجلال، وقد كاد هذا الإجلال يتحول إلى نوع من أنواع العبادة التي لا تجب إلا لله وحده »(١).

أما عنايتهم بتوكيد التوحيد فهي في مكانها، إذ قد عني به جميع الأنبياء - عليهم السلام - بل إن الله حصر رسالتهم فيها : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(٢)، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(٣) أما ما يختص بعلم الغيب فإن مذهب أتباع الدعوة موافق لمذهب أهل السنة، الذين يؤمنون بما جاء في القرآن أن الغيب لله وحده : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ﴾(٤)، وأن هذا الغيب يُطلعه الله على رسله كرامة لهم

---

(١) اكتشاف جزيرة العرب ص ٢٠٣، وقد نسب الشيخ حمد الجاسر هذه المقولة في مقدمة الكتاب ١١ إلى دومنغو بادليا، بينما يظهر لي أنها من كلام المؤلفة.

(٢) سورة النحل، الآية ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ٢٥.

(٤) سورة النمل، الآية ٦٥.

وإظهاراً لإعجازهم، قال سبحانه : ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾[1] .

وأصل هذه المسألة أن كاتب المادة هو من أعداء أهل الحديث الذين يبالغون في تقديس الأولياء ويثبتون لهم العلم بالغيب، مع مخالفته الظاهرة للقرآن .

أما إنكار كرامات الأولياء فهي فرية لا تنطلي على أحد؛ ذلك أن مصنفات أهل السنة شاهدة على إثباتها، بل إنها جزء من عقيدتهم؛ لأن تلك الكرامات دلت عليها الأدلة، وإثباتها جزء من عقيدة أهل السنة .

قال ابن تيمية : « ومن أصول أهل السنة والجماعة : التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات، في أنواع العلوم والمكاشفات، وأنواع القدرة والتأثيرات، كالمأثور عن سلف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة »[2] .

أما تقديسهم للأولياء : فإن كان المقصود محبتهم، وطلب الدعاء منهم في حال حياتهم، والاعتراف بفضلهم فهذا لم ينكروه، ولم ينكره أحد من المسلمين، بل هو ثابت عندهم فيمن عُلم ولايته .

---

(١) سورة الجن، الآيتان ٢٦، ٢٧ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣/١٥٦ . جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، الرياض .

وأما إن كان المقصود صرف شيء من العبادة لهم من دعاء أو ذبح أو نذر أو غيرها من وجوه العبادة، فهذا شرك أكبر، أُرسل الرسل للقضاء عليه .

ثامناً : الرد على وصفهم بالقرصنة :

جاء في الدائرة محاولات عدة لوصف الحركة الإصلاحية في نجد بالقرصنة، ومن ذلك : « وكان هدف البريطانيين من تدخلهم في سياسة بحر فارس هو القضاء على تجارة الرقيق والقرصنة اللتين كانتا قد نُظِّمتا تنظيماً أفضل مع اتساع نفوذ الوهابيين »(١) .

كما جاء عن سعود بن عبدالعزيز تلميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأقوى الأئمة الذين حكموا في الجزيرة العربية : « ونظم سعود القرصنة التي كانت تقوم بها القبائل القاطنة على الخليج الفارسي »(٢) .

كما جاء عن قبائل الدواسر : « وهم يعيشون حيثما تيسر لهم على السلب، ويقال إنهم أكثر الوهابيين تعصباً وخطورة »(٣) .

وقد قلدهم في ذلك « فيليب حتى » فسمى شاطىء الإمارات بشاطىء القراصنة(٤) .

---

(١) الدائرة ٦/ ٢٩٧، بحر فارس بكنكهام.

(٢) الدائرة ١/ ٣٠٩، ابن سعود، مورتمان . (تقدمت ترجمته) .

(٣) الدائرة، الأولى ٩/ ٣٠٦، دواسر، فاير.

(٤) موضوعية فيليب حتى، في كتابه : (تاريخ العرب المطول) شوقي أبو خليل ص ٥٤، دار الفكر، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٠ م .

وسبب وصفهم بذلك أن القواسم في ساحل رأس الخيمة والشارقة يغيرون على السفن البريطانية وعملائها في مسقط، وينهبونها، ويتم ذلك بتشجيع الأمراء السعوديين في نجد « الوهابيين » وترسل إليهم الخمس من المغنم .

إن من العجب وصف الوهابيين بذلك، فالمستعمر يصف غيره بالقرصان، وينسى نفسه !

كما أن قرصنة الإنجليز في بحار العرب سابقة لظهور دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب حيث ظهرت في البحر الأحمر سنة (١٦٩٦م) خمس سفن بريطانية وسفينتان أخريان على كل واحدة أربعة عشر مدفعاً، ومن البحارة مائة وخمسون، وأخذت تنهب السفن في البحر الأحمر والبحر العربي والخليج العربي(١)، ولم تحرك بريطانيا ساكناً .

فهذه القرصنة التي تفتك بسفن الحجاج وغيرهم مسكوت عنها، ودفاع صاحب الأرض ضد المستعمر قرصنة يجب إنهاؤها !

إن الحقيقة التي لا يُجادل فيها هي : أن مرور السفن البريطانية سواء شركة الهند البريطانية، أو غيرها في الخليج إنما كان لأعمال استعمارية خالصة، وهم لا يتناهون عن الاستيلاء ليس على السفن فحسب بل حتى على الأراضي إذا ما وجدوا فيها

(١) (الخليج العربي) السير أرنولد ويلسون ص ٣٢٢، ترجمة عبدالقادر يوسف، مكتبة الأمل، الكويت .

ضالتهم الاستعمارية رغم أنف أهلها كما هو معلوم بالضرورة عن الإنجليز، فقد استعمروا آنذاك دولاً وأراضي لا حصر لها، كما أن مرورهم في الخليج إنما كان لعبور السفن بين مستعمراتهم العربية في العراق ومستعمراتهم الهندية، التي تديرها شركة الهند الشرقية .

ولقد « تحولت سياسة شركة الهند الشرقية إلى امتلاك الأراضي وفرض السيادة الإنجليزية عليها من أواخر القرن السابع عشر . . . واستطاع الإنجليز في مدة قصيرة بين سنة ١٧٥٠، وسنة ١٨١٨ فرض سيادتهم على أغلب أراضي الهند »[١] .

وهل يتوقع الإنجليز أن تبحر سفنهم بأمان وهم بهذه المثابة، بالإضافة إلى تدخلهم في شئون بلاد الخليج حيث كانوا يحرضون حليفهم سلطان عُمان على مهاجمة حلفاء الدولة السعودية، فلما لم يستطع على ذلك، بل أصبح حليفاً للسعوديين يدفع الزكاة لهم[٢]، حاصرت بريطانيا جزيرة كشم التابعة للقواسم سنة ١٨٠٥ م، منتحلة أوهى الأسباب، وأجبرتهم على اتفاقية مجحفة سنة ١٨٠٦ م، ثم هاجموا رأس الخيمة في السنة نفسها[٣] .

كما أبرموا معاهدة استعمارية أملوها على أمير رأس الخيمة

---

(١) إمارات الساحل وعمان والدولة السعودية الأولى ١٧٩٣ م ـ ١٨١٨ م، محمد مرسي عبدالله ص ١٥٥، نقلاً عن مؤرخين إنجليز كـ بانيكار وغيره، والكاتب متخصص في هذا الموضوع وقد نال الماجستير والدكتوراه فيه .

(٢) تاريخ ابن بشر، حوادث سنة ١٢٢٣ هـ، ص ١٩١ .

(٣) قراءة جديدة لسياسة محمد باشا التوسعية، سليمان بن محمد الغنام ص ٣٥، نشر شركة تهامة، جدة ١٤٠٢ هـ .

بعد ضعفه حين هزيمة مناصريه السعوديين، الذين كانوا الساعد الأيمن له، وكانت تلك المعاهدة سنة ١٨٢٠ م بعد سقوط الدرعية بعامين، ومن بنودها : « بقاء رأس الخيمة وما حولها من مزارع في أيدي الحكومة البريطانية »(١).

قال بوندار ليفسكي المؤرخ الروسي : « في سنة ١٨٠٥ م لما تولى الأمير بدر حاكم مسقط سعى إلى إقامة علاقات طبيعية مع آل سعود وبمساندة إمام عُمان، وكان ذلك يتهدد خطط شركة الهند الشرقية في الجنوب الشرقي من الجزيرة، فاغتيل الأمير بدر في سنة ١٨٠٧ م بأمر من مقيم الشركة، وصار سعيد بن سلطان صنيعة البريطانيين، ومن ثم أصبح عدو الوهابيين اللدود، ثم نشب صراع مسلح أسهم في فرض الحماية البريطانية على مسقط وساحل الصلح البحري الذي سماه المستعمرون بصفاقة ووقاحة : [ساحل القرصنة] »(٢).

إن السبب في الخصومة بين السعوديين والقواسم من جهة، والإنجليز وخاصة حاكم بومباي من قبل الإنجليز من جهة أخرى يتلخص ببساطة بـ : اصطدام مصالح الإنجليز الاستعمارية التوسعية في الشرق بالقوة السعودية الناشئة المصممة على خضوع أراضي الجزيرة للدعوة الإصلاحية، والتي من أسسها عدم خضوع

---

(١) المقاومة العربية في الخليج العربي، سليم طه التكريتي ص ١٣٨، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٢ م .
(٢) الغرب ضد العالم الإسلامي، بوندار ليفسكي ص ٥٠، ترجمة إلياس شاهين، دار التقدم، موسكو، دطت .

الأراضي الإسلامية للكفار .

وكان لشركة الهند تجارة واسعة في عُمان، بل هي مركزها في المنطقة بعد البصرة، وكان الإنجليز يمارسون نفوذهم عليها .

إن الدعوة الوهابية ترى في الإنجليز عدواً للإسلام ومستعمراً يجب محاربته، وحين احتل القواسم بعض مدن عُمان سنة ١٨٠٨ م وأرسل سلطان عُمان رسله للدرعية للتوسط طلب منهم الإمام عبدالعزيز أن يوجه حاكمهم سفنه لضرب البصرة، وأن عليه أن يثبت ولاءه للقضية الإسلامية، فيعد حملة ضد شركة الهند المتعاونة مع باشا بغداد[(١)] .

« وفي هجمات القواسم على الإنجليز في إحدى المرات وجدوا في إحدى السفن امرأة هي زوجة تيلر القنصل الإنجليزي في بغداد، فلم يمسوها بأذى بل أعادوها إلى بو شهر طبقاً للتقاليد العربية »[(٢)]، فليس هذا من عمل القراصنة، وهو ليس تقليداً عربياً فحسب، بل هو ما يحث عليه الإسلام من عدم التعرض لغير المحاربين .

إن تحرير الأرض الإسلامية من المعتدين هو من الجهاد في سبيل الله وهو حق مشروع، بل هو واجب، وإذا لم يمكن ذلك فلا أقل من معاداة المعتدين، وعدم توليهم، ومضايقتهم، والتصدي لهم .

---

(١) إمارات الساحل لمحمد مرسي ص ١٧٤ .

(٢) إمارات الساحل لمحمد مرسي ص ١٨٠ .

أما أن ينعت المعتدي أصحاب الحق بالقراصنة فهو من المفارقات العجيبة، وهذا يذكرنا بما تطلقه إسرائيل على المقاومين للاحتلال بالمخربين والإرهابيين .

أما السلب فلا يُنكر أن القبائل البدوية في الجزيرة العربية كانت تمارس السلب على نطاق واسع، ولكن هذا مخالف لتعاليم الإسلام، ولم يكن له صلة بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بل إن السلب والنهب انحسر بوضوح مع توسع الدولة السعودية المؤيدة من الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأتباعه، ولقد شهد بذلك القاصي والداني ممن اطلع على أحوال نجد في تلك الفترة من المنصفين، ومن ذلك :

ما شهد به الرحالة الأسباني « دومنغو باديليا أي ليخ » المعروف باسم الحاج علي بك العباسي، عن قرب ومشاهدة شخصية عن الوهابيين بعد فتحهم لمكة بأنهم : « لا يسرقون قط، لا عن طريق القوة، ولا عن طريق الحيلة، إلا إذا اعتقدوا أن المتاع يخص عدواً أو كافراً[١]، وهم يؤدون أثمان كل ما يشترونه، وأجور الخدمات التي تقدم لهم بالعملة التي لديهم »[٢].

كما شهد بذلك بوركهارت[٣] الذي زار الجزيرة العربية بعد

---

(١) لم يتعرضوا للكافر المعاهد البتة، وإنما للكافر الحربي .

(٢) اكتشاف جزيرة العرب ص ١٤، ٢٠٢، هذا مع انتصارهم وفتحهم لمكة قبل أشهر بكامل قوتهم، وعداوة أهل مكة السابقة . كل هذا لم يكن سبباً لأخذ شيء بدون مقابل .

(٣) جوين لويس بوركهارت ١٧٨٤ ـ ١٨١٧ م مستشرق سويسري الأصل =

ذلك حيث قال عن الأمن في عهد الدولة السعودية الأولى التي تسير على منهج دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب : « ولعل هذا الأمن والأمان قد استتب في البلاد لأول مرة بعد النبي العربي[(١)]، ووجد البدو لأول مرة فرصة النوم آمنين مطمئنين على أموالهم وأمتعتهم ومواشيهم »[(٢)].

وأما ما تفعله الدولة السعودية الأولى من الاستيلاء على ممتلكات الأعداء المحاربين، فهذه غنائم حرب، وتلك الغنائم مشروعة في الإسلام، بل في غالب الأعراف؛ وهم لا يفعلون ذلك إلا مع أعداء دعوتهم الإصلاحية المناوئين لها، ولا يفعلون ذلك إلا بعد البيان والإنذار، أما من يسمح لدعاة الدعوة بالإصلاح في الأرض، ويعينهم في إزالة الشرك والفساد، فإن أموالهم ودماءهم مصانة محفوظة .

ولقد أحس أهل نجد بفقد الرحمة والشورى بعد سقوط الدولة عندما حكم إبراهيم باشا الدرعية تسعة أشهر حكماً إرهابياً

= إنجليزي الجنسية تعلم الطب والفلك واللغة العربية، قصد حلب وتعلم فيها القرآن والفقه الإسلامي، وأعلن الإسلام سنة ١٨٠٩ م، قضى حياته سائحاً في الشام، وهو الذي كشف عن مدينة البتراء، وزار مكة وجلس فيها ثلاثة أشهر سنة ١٨١٤ م، وزار القاهرة ومات فيها، وله كتب بتلك الرحلات (انظر المستشرقون للعقيقي ٢/ ٥٢) .

(١) الحقيقة أن الأمن استتب أيضاً في عصور الخلفاء الراشدين وبعض من بعدهم، ولكنه اختل عندما أهمل العثمانيون الأماكن الداخلية في الجزيرة العربية .

(٢) محمد بن عبدالوهاب للندوي ص ١٠٤، ١٠٥، نقلاً عن كتابه ص ١٣٠ .

تعسفياً بشهادة المؤرخين الأوربيين أنفسهم[١] .

ومن المفارقات أن يسل أولئك النفر من أهل الكتاب أقلامهم لمحاربة الدعوات الإصلاحية في الإسلام، آخذين عليها محاربتها لأعداء الدعوة، متناسين تلك الحرب الصليبية الشنعاء التي شنها النصارى في بلاد الإسلام على بعد آلاف الأميال عن ديارهم، تلك الحرب المتجردة من الضمير، والتي لم تخلف سوى الدمار، ولم يكن لها هدف سوى نفث الأحقاد، متناسين ما فعل اليهود، وما يفعلون في فلسطين، وما يقوم به النصارى الصرب من حرب إبادة ضد المسلمين في البوسنة قديماً وحديثاً أمام بصر العالم وسمعه، بل إن هؤلاء الإنجليز يقفون ضد أي محاولة للسماح للمسلمين للتزود بالسلاح للدفاع عن أنفسهم .

تاسعاً : فيما يتعلق بتجارة الرقيق :

جاء في الدائرة : « وكان هدف البريطانيين من تدخلهم في سياسة بحر فارس هو القضاء على تجارة الرقيق والقرصنة اللتين كانتا قد نظمتا تنظيماً أفضل مع اتساع نفوذ الوهابيين »[٢] .

قلت : إن حكمنا على الرق نابع من نظرتنا إليه « في ضوء الشناعات التي ارتكبت في عالم النخاسة، والمعاملة الوحشية التي سجلها التاريخ في العالم الروماني خاصة، فنستفظع الرق، ولا تطيق مشاعرنا أن يكون هذا اللون من المعاملة أمراً مشروعاً يقره

(١) اكتشاف جزيرة العرب ص ٢٤٢ .
(٢) الدائرة ٦/ ٢٩٧، بحر فارس، بكنكهام .

دين أو نظام »[1]، بينما يجب أن ننظر إليه في ضوء الإسلام الذي حرم سرقة الأحرار، وحصر الرق في أسرى الحرب خاصة إذا كان ثمة مصلحة من استرقاقهم، وفتح أبواب التحرير، وجعلها من أفضل الأعمال : ﴿ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴾[2] كما جعل غالب الكفارات شرطها الأول إعتاق الرقيق، وجعل إعتقاهم من مصارف الزكاة الركن الثالث من أركان الإسلام .

بل أمر بإعتاقهم بالمكاتبة على قدر من المال إذا أسلم الرقيق، وعُرف منه قيامه بنفسه ورغبته في ذلك : ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾[3] كما أمر بمعاملة الرقيق معاملة إنسانية والإحسان إليهم، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « **إن إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، ويُلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم؛ فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم** » متفق عليه[4] .

---

(١) شبهات حول الإسلام، محمد قطب ص ٣٨، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثامنة عشرة ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م .

(٢) سورة البلد، الآيات ١١ ـ ١٨ .

(٣) سورة النور، الآية ٣٣ .

(٤) رواه البخاري في (كتاب الشركة) باب ١٥، ومسلم في (كتاب الإيمان) =

كما حفظ حقوقهم وحذر من التعدي عليهم كما جاء ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم : « **من قذف مملوكه بالزنا يقام عليه الحد يوم القيامة إلا أن يكون كما قال** »[١] رواه مسلم .

وقد طبق المسلمون هذه المعاملة في الغالب، كما طُبقت في الجزيرة العربية إبان دعوة محمد بن عبدالوهاب رحمه الله هذه التعاليم الإسلامية تجاه الرقيق، مما لا يقارن مع معاملة الغربيين للرقيق بشهادة الجميع، وإنني لا أذكر شهادات المسلمين، ولكنني سأستشهد ببعض الأوروبيين الذين زاروا البلاد الإسلامية، وبالتحديد الجزيرة العربية فهالهم حسن معاملة المسلمين للرقيق . فهذا أول قنصل بريطاني في زنجبار يصف حالة الرقيق : « إنهم عموماً يتناولون طعاماً جيداً ولا تساء معاملتهم، ومن النادر ضربهم »[٢] ويقول أحد الذين خلفوه : « لا توجد طبقة في المجتمع سعيدة وخالية البال وتحظى بمعاملة كريمة كطبقة العبيد المسلمين »[٣] .

وقد كتب المقيم الإنجليزي في الخليج سنة ١٨٤٤ م يصف حالة الرقيق بعد انتقالهم للعرب : « ومن اللحظة التي يتم فيها شراؤهم تتحسن حالتهم من الناحية المادية، وهم بدورهم يعملون كثيراً عن طواعية وبإتقان، ويتضح أنهم سعداء وراضون » .

= حديث رقم (٤٠) .

(١) رواه مسلم في (كتاب الإيمان) باب ٣٧ .

(٢) بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠، جون . ب . كيلي ص ٥، ترجمة محمد أمين عبدالله، دطت .

(٣) بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨١٠ لجون كيلي ص ٥ .

ويقول الكاتب والمؤرخ أرنولد ويلسون يصف معاملة العرب للأرقاء في الخليج في القرن التاسع عشر الميلادي ـ أي أيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ـ : « كان السادة ملزمين بموجب الشرع بأن يعاملوا الأرقاء معاملة جيدة ويطعموهم ويكسوهم ويحافظوا عليهم حتى موتهم، ويزودوا كل رقيق ذكر بزوجة، ويُحافَظ على أولادهم، وكانت حياة الرقيق في الجزيرة العربية على قسوتها ليست على التأكيد أقسى من حياة العبري العادي، كما كانت أقل عسراً من حياة رجل القبائل الإفريقي. ومن المؤكد أنها لم تكن مهينة، ويصل الأرقاء في العادة إلى منازل رفيعة من الثقة، ونظراً لاعتناقهم الإسلام كانوا أهلاً للحصول على حريتهم في الظروف الصحيحة المتفق عليها »[(١)].

وقد أكد برترام توماس الكلام السابق من واقع خبرته ومعرفته الوثيقة بحضرموت وعمان، حيث قال : « إن معاملة العربي للعبد قد قضت نهائياً على وصمة العار التي تلازم العبيد في المناطق الأخرى، وذلك أن المعاملة الحسنة والرفق بالعبيد هي السمة الغالبة اليوم في معاملة العرب للرقيق »[(٢)].

وقد حكت الليدي آن بلنت ـ وقد زارت الجزيرة العربية سنة ١٨٧٩ م إبان حكم آل رشيد ـ مناقشة لها مع أحد مشائخ الحرم المدني وقد التقت به في حائل وهو صالح بنجي، حيث

---

(١) الخليج العربي لأرنولد ويلسون ص ٣٦٨ .

(٢) بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ لجون كيلي ص ٦ .

قال لها : ما هي مصلحة الحكومة البريطانية الدنيوية من تدخلها في تجارة الرقيق .

قالت : إنها منع القسوة .

ولكنه أصر على ألاً قسوة فيها، وسأل : من ذا الذي رأى زنجياً تساء معاملته ؟

فسكتت، وجاء في كتابها : « حقاً إنه لشيء مشهور أن العبيد عند العرب كالأطفال المدللين أكثرمن كونهم خدماً »[١] .

إن أكبر استرقاق بل سرقة للأحرار واسترقاقهم قد تمت تحت نظر الدول الغربية وسمعها، بل بإشرافها ورعايتها، فهل كان السببُ في تدخل بريطانيا في سياسة بحر فارس ـ وهو يبعد آلاف الأميال ـ الغيرة على العبيد ؟!

كيف ! وهم السابقون إلى سرقة الأحرار في إفريقيا ـ خاصة في السنغال ـ وبيعهم في أسواق أوروبا ؟

إن أكبر مراكز تجارة الرقيق كانت في عُمان، وكانت تجارة الرقيق تعتمد في الدرجة الأولى على موسم حصاد البلح في البصرة[٢] .

ومن المعلوم أن أُمراء عُمان المتعاقبين كانوا حلفاء الإنجليز

---

(١) رحلة إلى بلاد نجد، الليدي آن بلنت ص ٢٦٠ ، ٢٦١، ترجمة محمد أنعم غالب، تقديم حمد الجاسر، دار اليمامة، الرياض، الطبعة الأولى ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م .

(٢) بريطانيا والخليج ١٧٩٥ ـ ١٨٧٠ لجون كيلي ص ٥ .

ضد الحركة الوهابية، وكانت البصرة التي تهيىء العمل للأرقاء تحت حكم الإنجليز في تلك الفترة .

عاشراً : فيما يتعلق بالتقليد :

قال شاخت[1]: « وينكر الوهابية، وأولهم إمامهم ابن

---

(١) شاخت، يوسف J. Schacht (١٩٠٢ م ـ ١٩٦٩ م) : مستشرق ألماني تخرج في جامعتي برسلاوا وليبزيج، عين أستاذاً في جامعة فرابورج (١٩٢٧ م)، وفي الجامعة المصرية (١٩٣٤ م)، كما درس في الجزائر، تعين في وزارة الاستعلامات البريطانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥)، وتجنس بالبريطانية ودرس في قسم الدراسات الإسلامية بأكسفورد (١٩٤٨ م)، ثم عين أستاذاً في هولندا في جامعة لدن (١٩٥٤ م ـ ١٩٥٩ م)، وهناك اشترك في الإشراف على دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الثانية، وفي (١٩٥٩ م) انتقل إلى نيويورك حيث عين أستاذاً في جامعة كولمبيا واستمر حتى توفي .

انتخب في مجامع عدة منها المجمع العلمي بدمشق، كما تولى مع برونشفيج مجلة الدراسات الإسلامية .

اشتهر بدراسة التشريع الإسلامي، ومن آثاره نشره لعدة كتب في الحيل ككتاب الخصاف والقزويني والشيباني، وحقق كتاب التوحيد للماتريدي، وله كتاب في نشأة الفقه في الإسلام، وغيرها كثير، كما أن له دراسات عديدة في المجلات العالمية أغلبها في الشريعة الإسلامية .

حرر في الطبعة الثانية من الدائرة ٣٢ مادة عن الشريعة الإسلامية مليئة بالتعصب والحقد، حيث زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يقصد وضع نظام بل ظل القانون العربي على ما هو عليه مع عناصر دخيلة من رومية وبابلية ويمنية، وادعى أن الزكاة عرفها النبي من يهود المدينة، واتهم النبي صلى الله عليه وسلم بعدم العدل في توزيع الأموال، وهو من أكثر الكتاب محاولة في التشكيك بنبوته صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، واختلق في سبيل ذلك الكثير من الافتراءات، كما شكك في السنة النبوية =

عبدالوهاب التقليد »[١].

قلت : هذا أيضاً من مفتريات القوم، فلم ينكر محمد بن عبدالوهاب وأتباعه التقليد بهذا التعميم؛ لأن المسألة فيها تفصيل، ذلك أن محمد بن عبدالوهاب وأتباعه يرون وجوب الاجتهاد بحسب القدرة، وذم المقلد مع قدرته على الاجتهاد، أو التقليد مع علمه بمخالفة ذلك لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، أما من قلد الأئمة الأربعة من عوام الناس فأقروه من غير نكير[٢].

وهذا قول جمهور العلماء[٣].

ذلك أن التقليد كما عرفه العلماء وجاء في نفس المادة في الدائرة : « قبول قول الغير أو العمل به في مسائل الدين بلا دليل » وعبر عنه بعض الأصوليين بأنه : « قبول قول القائل بلا حجة »[٤].

وكيف يسوغ لمن عرف الأدلة واستطاع الاجتهاد أن يقلد!

فمذهب الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه موافق للقرآن والسنة وسلف الأمة وجمهور العلماء، وهو ظاهر راجح لمن تأمله وتدبره، فإنكاره ليس لعموم التقليد، وإنما لفروع منه.

= وقلل من أهميتها.

انظر : الأعلام ٨/ ٢٣٤، المستشرقون للعقيقي٢/ ٤٦٩ ـ ٤٧١.

(١) الدائرة ٩/ ٤٧٦، التقليد، شاخت.

(٢) الدرر السنية ٣/ ٨ ـ ١٤.

(٣) الإبهاج شرح المنهاج عبدالوهاب بن علي السبكي ٣/ ٢٧١، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤ هـ ـ ١٩٨٤ م.

(٤) الإبهاج للسبكي ٣/ ٢٧٠.

وختاماً : فهذه دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب دعوة إصلاحية موافقة للقرآن والسنة متبعة مذهب أهل السنة والجماعة، دعاتها أرادوا تنقية الدين وتجديده من الشرك والبدع والتقاليد الجاهلية، وهم كغيرهم من البشر ليسوا معصومين، قد يقع منهم الخطأ؛ ولكن من العدل أن توزن الأمور فمن طغى خيره وصلاحه وإصلاحه عُذر فيما وقع منه من الأخطاء اليسيرة التي هي من ضرورات البشر .

والناظر لهذه الدعوة ببصيرة متجرداً من الحقد والهوى فإنه سيعلم فضلها على الأمة، وتضحية أصحابها .

وللإنصاف فإن كان غالب كتاب الدائرة ممن كتب عن الدعوة تجنى عليها، إلا أنه صدرت من بعض المؤرخين الغربيين أقوال منصفة في حق الدعوة، ومن ذلك : ما جاء في دائرة المعارف البريطانية :

« والوهابية : اسم لحركة التطهير في الإسلام، والوهابيون يتبعون تعاليم الرسول وحده، ويهملون كل ما سواها، وأعداء الوهابية هم أعداء الإسلام الصحيح »[١] .

قال وليمز وارمسترونج : « . . . لما شاع الفساد في بلاد المسلمين قام في جزيرة العرب محمد بن عبدالوهاب يحارب البدع، ويدعو إلى جمع الصفوف لإعادة مجد الإسلام، وعبادة الله بقلب سليم، ولكنه كغيره من المصلحين اضطهد واتُّهِم

---

(١) انظر : محمد بن عبدالوهاب في التاريخ للرويشد ص ٤٢٢ .

بالإلحاد والزندقة »[١].

وقال المؤرخ الأمريكي لوثرب ستودار[٢]: « ... فالدعوة الوهابية إنما هي دعوة إصلاحية صالحة بحتة غرضها إصلاح الخرق ونسخ الشبهات وإبطال الأوهام ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الإسلام الوسطى، ودحض البدع وعبادة الأولياء . وعلى الجملة هي الرجوع إلى الإسلام والأخذ به على أوله وأصله، ولبابه وجوهره، أي إنها الاستمساك بالوحدانية التي أوحى الله بها إلى صاحب الرسالة »[٣].

وقد توقع الكاتب الفرنسي « الكسندر دوماس » بعد دراسة لدعوة الشيخ واطلاعه على كتب الرحالة الغربيين لجزيرة العرب وتأليفه في ذلك[٤]: انتشار تلك الدعوة وظهورها، وذلك عند حديثه عن احتمال ظهور قوة عربية جديدة[٥]، بفضل : « أمة

---

(١) صحائف مطوية، عبدالله خياط إمام وخطيب المسجد الحرام ص ٣٤، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض ١٣٩٨ هـ، نقلاً عن كتابه « ابن سعود » .

(٢) لوثرب ستودار ١٨٨٣ ـ ١٩٥٠ م مستشرق أمريكي ومؤرخ اجتماعي ألف العديد من الكتب منها كتابه المشهور « حاضر العالم الإسلامي » وقد تُرجم بالإضافة إلى العربية إلى الألمانية والتركية والفارسية . (كتب ترجمته عجاج نويهض مترجم حاضر العالم الإسلامي ص ٤٣، ٤٤) .

(٣) حاضر العالم الإسلامي، لوثرب ستودار ص ٢٦٤ .

(٤) مما ألف قصة رحلة إلى شبه الجزيرة العربية، ألفها في سنة ١٨٥٦ م، وزيارة الحاج علي بك لمكة والمدينة والعربية السعيدة، ألفها في ١٨٥٦ ـ ١٨٥٧ م .

(٥) كتب هذا الكلام بعد سقوط الدولة السعودية الأولى، وظهور الدولة =

الوهابيين التي تمتلك حيوية الأجيال الفتية، وإيمان المرسلين، وحماسة واقتناعاً دينيين مبعثهما المعتقد الوهابي، هذا المعتقد الذي هو مؤهلاً لأن يسود . . . إن الإصلاح لوشيك الحدوث من القفقاس إلى رأس زنجبار . . . إن مائتي مليون مسلم يتعادون ويتنازعون، تجمعهم نقطة عقائدية واحدة هي الحج، تشتم خلاله كل شيعة الشيعة الأخرى . . . ولكن المستقبل في غمرة كل ذلك للوهابيين وحدهم . . . ولمذهبهم الذي يختفي أمامه ألوف الأولياء، والشيوخ والمتصوفون، الذين يقدسهم المسلمون من غير الوهابيين، وأمام مبادئهم الخلقية التي تكاد تكون مبادىء إنجيلية تمحور ذلك الانحلال الشرقي المنتشر في أكثر العواصم »[١].

= الثانية .

(١) اكتشاف جزيرة العرب لجاكلين بيرين ص ٣٤٧، وهو يتوقع ظهور دعوة محمد بن عبدالوهاب لوضوحها وعدم تقديسها المخلوقين والأضرحة، ولمبادئها الخلقية السامية ولبعدها عن التعصب، وهي إسلامية قرآنية لا إنجيلية، والانحلال الشرقي ليس أعظم من الانحلال الغربي .